إعجاز القرآن
في فكر بديع الزمان سعيد النورسي

أ. د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
(وبعد) فان إعجاز القرآن في فكر النورسي موضوع جدير بالبحث الواسع كما سيعرفه القارئ من خلال هذا البحث المحدود.
والله تعالى ولىّ التوفيق.

تعريف بالنورسي:

هو الامام بديع الزمان سعيد النورسي المولود في قرية نورس الواقعة بشرق الاناضول سنة ١٢٩٣هـ الموافقة ١٨٧٣م. المتوفي في ٢٥ رمضان سنة ١٣٧٩ هـ الموافقة ١٩٦٠م، لقب ببديع الزمان لظهور ذكائه ونبوغه منذ الصغر.
وقد اتقن علوم العربية وعلوم الشريعة واضاف الى ذلك الرياضيات الفلك والكيمياء الفيزياء والجيولوجيا والفلسفة وغيرها باتقان. واظهر عظيم الاهتمام بانشاء جامعة للأسلاميات ومدارس للعلوم المدنية كالدينية. ونصب نفسه للاجابة عن اسئلة السائلين، ، وانتقد الاستبداد ونظام الامن فتعرض للمشاكل والايذاء. وترك مؤلفات عديدة وضخمة منها الكلمات والمكتوبات والشعاعات واللمعات، واهمها في التفسير والاعجاز كتابه (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) وله كتاب قيم في حوالي ٢١٠ صفحة يسمى (محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة)(١).

مفهوم الاعجاز:

الاعجاز: إثبات العجز في الغير، ثم استعمل في لازمه وهو إظهار العجز في الغير. واعجاز القرآن هو: إثبات الفرآن عجز الخلق عن الاثبات بمثله. فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول ومابعده محذوف للعلم به. وليس الاثبات المذكور - او الاظهار الذي هو لازمه - مقصودا لذاته، بل المقصود لازم ذلك، اعني إظهار ان هذا الكتاب حق من عند الله وان الذي جاء به رسول صادق ارسله الله تعالى، فينتقل الناس من اعلم بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى العلم بانه صادر عن الله تعالى الذي لايعجزه شئ ثم الى العلم بانه تأييد منه تعالى للآتي به وتصديق، فعند ذلك يؤمنون بأنه رسول الله، فيسعدون باتباعه في الدنيا والآخرة (٢). وكل هذا يتفق مع كلام النورسي في شتى كتبه، ولم يفرده بعنوان او بمكان.

القدر المعجز:

قال النورسي: »تحقق عندي أنه ليس القرآن كله معجزة، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة«(٣).
وقال: »ليست آيات القرآن ولاكلماتها معجزة وحدها، وانما كذلك حروف القرآن«(٤).
وقد قرر ابن حجر الهيتمي بعض ذلك فقال ان »المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد«(٥) قال: »لان في ارتباطها [يعني بعضها] بما قبلها او بعدها انواعا من بدائع الحكم«(٦)، وقال: »فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى (ثم نظر)(٧) او بعضها المفيد [يعني بعض آية مّا] لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها«(٨)، وقال: »واما التصريح

بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث آيات فتردّه المشاهدة الخارجية، اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيئاً«(٩).
واقول: من البدهي ان النورسي لايقصد حرفا مقطوعاً عما حوله، او كلمة بدون مراعاة ما حولها، بل المقصود، ما يتولد من المعاني، ومايوجد من إحكام مناسبة الكلمة للموضوع فلايمكن ان يقوم غيرها مقامها، وان تكون تلك المعاني بحيث لايتأتى اجتماع مثلها في كلام بشر. ومن المعلوم ان تبديل كلمة بكلمة في كلام البشر لايؤثر كثيراً - او لايؤثر بتاتاً احياناً - على المعنى ومايتبعه،
فاذا تحصلنا على قدر من المعاني لايتأتى مثله البشر فالكلمات التي اشتملت عليه معجزة، قلّت او كثرت. وكذا المعاني الاشارية في الحرف الواحد بما احيط به من كلمات ومادار في سياقه من المعاني المشار اليها. وسنجد في كلام الله تعالى كيف ان الكلمة تخدم الموضوع لايقوم غيرها مقامها - وهذا اعجاز. وسنرى ايضا كيف يكون اعجاز الحرف لكن بما دار حوله كما عرفنا.
فاليك هذين المثالين:
اولا: بالنسبة الى الكلمة: قال النورسي: »هذه الجملة يعني قوله تعالى: ولئن مسّتهم نفحةٌ من عذابِ ربّك(١٠) مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن باظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فان جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر الى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول:
فلفظ (لئن) هو للتشكيك، والشك يوحي القلة.
ولفظ (مسَّ) هو اصابة قليلة، يفيد القلة أيضاً.
ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي ـ مصدر المرة ـ فيفيد القلة..
وتنوين التنكير في (نفحةٌ) هي لتقليلها، بمعنى أنها شئ صغير الى حد لا يُعلم، فيُنكر.
ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة.
ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة الى النكال والعقاب، فيشير الى القلة.
ولفظ (ربك) بدلاً من: القهار، الجبار، المنتقم، فيفيد القلة أيضاً وذلك باحساسه الشفقة والرحمة.
وهكذا تفيد الجملة أنه:
اذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيُعين كلٌ الآخر، فكلٌ يمد المقصد بجهته الخاصة.
هذا المثال الذي سقناه يلحظ اللفظ والمقصد«(١١).
وهذا القدر من البيان يكفي - عندي - لتأييد قول كل من النورسي والهيتمي في اعجاز الكلمة.
ثانياً: بالنسبة الى الحرف: قال النورسي:
»تأملت ذات يوم في »ن« المتكلم مع الغير في: اياك نعبد وإيّاك نستعين وتحرّى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد الى صيغة الجمع (نعبد).. فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك »النون«، اذ رأيت انه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أدَّيتها في جامع »بايزيد« يكون كل فرد منها بمثابة شفيع لي.
ورأيت ان كل فرد من أفراد تلك الجماعة شاهدٌ ومؤيدٌ لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي. فولّد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة، وأرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة الى الحضرة الإلهية المقدسة.
وبينما كنت أتأمل في هذا؛ اذا بستار آخر يُرفع، ورأيت أن جميع »مساجد إسطنبول« قد اتصلت وترابط بعضها ببعض؛ فأصبحت تلك المدينة كهذا الجامع، واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعاً بل تصديقهم كذلك.

وهناك رأيت نفسي محشوراً في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الارض المتحلقة حلقات حول الكعبة المشرفة فحمدت الله كثيراً وقلت: »الحمد لله رب العالمين«.. ان لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء، وممن يرددون معي، ويصدقونني في كل ما اقوله في الصلاة.

وقلت: ما دام الستار قد رفع هكذا خيالاً.. وأصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الأرض، فلأغتنم اذن هذه الفرصة، ولأدع فيها خلاصة الايمان التي اذكرها في التشهد وهي، »أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله« وأسلمها أمانة عند الحجر الأسود. متخذاً الصنوف شهداء عليها.

وهنا انكشفت حالة اخرى، إذ رأيت:

ان الجماعة التي انضممت اليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر:

الأولى: هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة.

الثانية: هي جماعة الموجودات كافة حيث كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه(١٢) فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى.. وأن ما يسمَّى وظائف الاشياء واعمالها، إن هو إلاّ عناوين عباداتها وعبوديتها..

فطأطأت رأسي حائراً أمام هذه العظمة قائلاً: »الله اكبر« وتأملت في نفسي وفي الدائرة:

الثالثة: ورأيت عالماً يبدأ من ذرات وجودي، وينتهي الى حواسي الظاهرة؛ فهو عالم صغير وصغير.. إلاّ أنه عظيم جداً يدعو الى الحيرة والاعجاب. وهو عالم ظاهره متناهٍ في الصغر إلاّ أن حقيقته عظيمة، ووظائفه جليلة.

نعم، رأيت أن كل جماعة من جماعات هذا العالم منهمكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها. ورأيت أن اللطيفة الربانية التي هي في تلك الدائرة في قلبي تردد: ايّاك نعبد وإيّاك نستعين باسم هذه الجماعة، مثلما ردّدها لساني بنية الجماعتين العظيمتين الأوليين.

والخلاصة: أن (نون) »نعبد« تشير الى هذه الجماعات الثلاث وتدل عليها«(١٣)

هكذا اورد النورسي شاهده على الاعجاز في الحرف الواحد بما احاطه من هذه الاشارات البديعة - منفردا بهذا النحو من اشارات الاعجاز وبوارق الفتوحات والاشراقات.

ولو سألنا انفسنا: ما القدر المعجز من الاخبار بالغيب؟ لكان الجواب: ماتقطع النفس معه بأنه لايتأتى لولي او كاهن او ذكيّ - بدون تحديد سابق على معرفة افادته هذا اليقين وهذا الاعجاز.

ولو اننا تأملنا خبرا واحدا قرآنيا مع ما اقترن به من ثقة القائل بنفسه - ان صح التعبير - ومن صدق الخبر وتحققه كاملا ومن معرفة ان المصدر البشري ﷺ لم يعهد عليه كذب ولاتكهن ولا ما الى ذلك - ما كان عندنا تردد في ان هذا الخبر الذي وقع كما اخبر معجزة. وفرق شاسع بن تلجلج الكهانة ونصاعة الوحي الالهي. الى آخر مانقول.

ولم يحدد العلماء - في غالب ظني - القدر المعجز - من جهة البيان والفصاحة - بسورة او قدرها من آيات في موضوع واحد ومتوالية إلا لانه هو القدر الذي يتيسر دائما للمتأمل ان يدرك اعجازه. بل حتى مقدار السورة المذكورة لم نر العلماء قد تيسر لهم ان يتتابعوا على تلك المقادير ليظهروا اعجاز كل مقدار. وقصاراهم او قصارى مانجد ان نحد ذلك في مقادير محصورة - اقصد ان الواقع من ذلك محصور فيما ألّفه العلماء.

بل انني انادي اصحاب القدرة على بذل التبصرة بكتاب الله تعالى بافراد كل سورة من السور القصيرة بالدراسة الكاشفة عن وجه - او وجوه - اعجازها. والله تعالى من وراء القصد.

وجوه الاعجاز:

ذكر السيوطي للاعجاز خمسة وثلاثين وجها في كتابه (معترك الاقران في اعجاز القرآن)، واضاف صاحب كتاب (القرآن

يتحدى) اربعين وجها (١٤)، اما النورسي فذكر ان انواع الاعجاز اربعون منها ماهو بإزاء المعاندين (١٥)، ولم يقصد الحصر فذكر ان اقسام الاعجاز مائتان(١٦).

ولعله لم يقصد الحصر ايضاً. وعلى كل حال فقد اعتنى بشرح عدد محدود منها، وسنذكر مايتيسر لنا من ذلك بعون الله تعالى.

النظم:

قال النورسي: »وما الاعجاز الزاهر إلا نقش النظم«(١٧)، فالنظم عنده هو وجه من وجوه الاعجاز. وقال: »ان منشأ نقوش البلاغة هو نظم المعاني دون نظم اللفظ«.. »ونظم المعاني عبارة عن توخي المعاني النحوية فيما بين الكلمات، اي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة«..

»ونظم المعاني هو الذي يشيد بقوانين المنطق.. واسلوب المنطق هو الذي يتسلسل به الفكر الى الحقائق.. والفكر الواصل الى الحقائق هو الذي ينفذ في دقائق الماهيات وينسبها.. وينسب الماهيات هي الروابط للنظام الاكمل.. والنظام الاكمل هو الصدف للحسن المجرد الذي هو منبع كل حسن.. والحسن المجرد هو الروضة لأزاهير البلاغة التي تسمى لطائف ومزايا«(١٨).

ولم يقصد الانصراف الكلي عن رعاية نظم وزينته واستخدام التشبيه وما الى ذلك، بل قال ان : »اللفظ يزيّن ولكن اذا اقتضت ذلك طبيعة المعنى وحاجته، وان صورة المعنى - التي هي اللفظ - تعظّم وتعطى لها مهابة ولكن اذا اذن بها المعنى، وان الخيال يجول وينشط ولكن اذا لم يؤلم الحقيقة ولم يُثقل عليها وكان مثالا لها متفرعا عليها«(١٩). يعني ان لاتكون رعاية اللفظ على حساب المعنى.

وهذا هو اتجاه مدرسة النظم - الجامعة المتعمقة الحصيفة - التي نظرت الى الكلام على انه كعملة ذات وجهين لابد لسلامتها من سلامتهما وصحبتهما. وقد تزعمها عبدالقاهر الجرجاني بجدارة ونباهة عالية. ويقابلها مدرسة اللفظ التي لم تبال ان يكون المعنى رخيصا، وبمثلها مسلم ابن الوليد، ولا يتبعها الجاحظ، حلافا لما قد يتوهم. كما يقابلها مدرسة المعنى التي توليه عنايتها في حين انها قد ترى في العناية باللفظ تكلفا - ولهذا انصرفت عن وضع اللفظ في الاعتبار - وترى ان العناية باللفظ - ان كانت ولابد - فما هي الا لخدمة المعنى، والا فهو وحده الهدف. ومن رجال هذه المدرسة ابن جني (٢٠)، فقد اخذ النورسي بأقوى المدارس.

والاساس الاعجازي في النظم هو الايجاز، ذلك الذي ينبهر امامه اهل التدقيق العلمي (٢١).

وقد علمت ان المثال المبين لهذا الوجه من الاعجاز هو كذا او كذا مما شرحناه في بيان القدر المعجز. وارجع هناك الى مثال ولئن مستهم نفحة.. وايضاً تفسير النورسي المسمى »اشارات الاعجاز«.. كله يبين الامثلة المعجزة من حيث النظم. واليك هذا المثال ايضاً:

قال تعالى: ومما رزقناهم ينفقون(٢٢): قال النورسي: »فهيئات هذه الجملة تشير الى خمسة شروط لقبول الصدقة:

الشرط الاول: المستفاد من »من« التبعيضية في لفظ (مما) أي: أن لا يبسط المتصدق يده كل البسط فيحتاج الى الصدقة.

الشرط الثاني: المستفاد من لفظ (رزقناهم) أي: أن لا يأخذ من زيد ويتصدق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله، بمعنى: تصدقوا مما هو رزق لكم.

الشرط الثالث: المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) أي: أن لا يمنَّ فيستكثر، أي: لا منّةَ لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، وتنفقون من مالي على عبدي.

الشرط الرابع: المستفاد من (ينفقون) أي: أن ينفق على مَن يضعه في حاجاته الضرورية ونفقته، وإلاّ فلا تكون الصدقة مقبولة على مَن يصرفها في السفاهة.

الشرط الخامس: المستفاد من (رزقناهم) أيضاً. أي: يكون التصدق باسم الله، أي: المال مالي، فعليكم أن تنفقوه باسمي.
ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق، اذ كما أن الصدقة تكون بالمال، تكون بالعلم ايضاً، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير الى هذه الاقسام كلمة (ما) التي في (مما) بعموميتها. وتشير اليها في هذه الجملة بالذات، لانها مطلقة تفيد العموم.
وهكذا تجُود هذه الجملة الوجيزة - التي تفيد الصدقة - الى عقل الانسان خمسة شروط للصدقة مع بيان ميدانها الواسع، وتشعرها بهيئاتها« (٢٣).
هذا والتعبير بالمضارع (ينفقون) يشير الى الدوام والاستمرار - بقدر كما عرفنا - والبر من الله تعالى دائم ومستمر وموصول بخلقه لاينقطع عنهم طرفة عين، ومما يشير الى ذلك - عند من يقبله - كون ضمير العظمة موصولاً بضمير الناس وصلاً عن طريق حذف ألفه في رسم المصحف. ولايدوم برّه موصولا الا العظيم - جل جلاله - والتعبير بالماضي في فعله تعالى (رزقنا) يشير الى انه امر قد قدر (٢٤) وفي السماء رزقكم وما توعدون(٢٥) ، (جف القلم بما هو كائن)(٢٦)، وقد كتبت الملائكة في الواحها الفرعية رزق الانسان فيما كتبت (٢٧). وايضا يشير الى موصولية رزق الله تعالى لعباده مجئ ضمير العظمة، موصولا وضمير المرزوق موصولا به، فالضميران موصولان بالفعل.
فالنظم هو وجه وجوه الاعجاز حقا عند عامة العلماء.
هذا وللنورسي افاضات في اضاءة جوانب النظم البليغ الذي اذا كان قرآنا كان معجزاً والا كان فائقا، وكانت جهوده امراً يحقق لنا انه قصد فعلا اللفظ والمعنى لا واحدا منهما فقط. فليطلب من يشاء كلامه الرائع والفريد عن اسباب رفعة الكلام ومنها (استعداده للاستنباطات الكثيرة)(٢٨) وعما اسميه (مراتب المعاني - ودوالّها) فبعضها كالهواء يحس به ولايرى (٢٩) الخ، وعن قوة الكلام في التجاوب بين اجزائه والمعاني، فالنظم والهيئة متعاونان في مدّ الغرض الكلي(٣٠) الخ. كما رأيناه في مثال ولئن مستهم نفحة.. وغيره كثير، وعن (سلاسة الكلام)(٣١)، وعن (سلامة الكلام)(٣٢)، وعما اسميه (ذاتيات البلاغة العليا - المعجزة) بان ينظر المتكلم دفعة واحدة نسب قيود الكلام.. فيكون كل رابط مظهر المعنى، وينتهى الحال الى نقش متسلسل الى النقش الاعظم، كأن المتكلم ضم الى عقله عقولا، وهذا في القرآن مما يعجز الفكر الشخصي والارادة الجزئية(٣٣) الخ، كل هذا بالاضافة الى ماقاله عن (غنى الكلام وثروته واتساعه) بان تشير اركانه الى المعاني الاصلية، وفروعه الى توابع الغرض (٣٤) الخ، وعن (الاسلوب وسر تأثيره) من حيث انه قالب المعاني وانه يستدعيها بمناسبات النظام والترابط (٣٥) الخ، وعن (انواع الاساليب، وخاصة كل نوع، ومجال استعماله)(٣٦). وفي صولات النورسي وجولاته بيان (إمالة الكلام - ظاهرا - الى مايخالف الدليل) (٣٧)، وهو كلام لا اعلمه لغيره، وقد شرحته ودعمته في يعض بحوثي(٣٨)، وهو نفيس حقا فيما احسب. وبهذا تجلى لنا انه وفّى هذا الوجه حقه من جميع نواحيه.

الحروف المقطعة:

الحروف المقطعة في فواتح السور مثل (آلم - حم - ص) نصف حروف الهجاء، وهي اكثير استعمالا وايسر على الالسنة من النصف الاخر.
ولحروف الهجاء صفات منها عشر ازواج كالجهر والهمس فهما زوج وهما اثنتان من عشر، ومنها سبع افراد كالقلقلة. والذي وقع في فواتح السور يبلغ النصف من كل زوج، فمثلا الجهر حروفه (١٨) وقع منها (٩) والهمس (١٠ احرف) وقع منها خمس. ويبلغ النصف ايضا من حروف كل صفة من السبع الافراد، لكنه ليس نصفا بالميزان، بل ان كانت الصفة ثقيلة جاء نصفها الصغير وان كانت خفيفة جاء نصفها الثقيل او الكبير، كالقلقلة ثقيلة وحروفها خمسة فجاء منها في الفواتح اثنان، وكالذلاقة صفة خفيفة وحروفها ستة فوقع منها اربعة.

وهذا توازن عجيب لانظنه غير مقصود. لكني في نفس الوقت لا اظنه وحده كافيا في تحقق الاعجاز، بل يضم اليه كل مايأتي عن هذه الحروف - او بعض مايأتي، حتى يكتمل لنا مايقع في نفوسنا انه قدر اعجازي. فإليك بقية الكلام:

لحروف الهجاء ايضا طبائع وخواص، ومن طبائعها ما هو ألطف سجية، وهو الذي وقع في الفواتح، وهو نصف حروف الهجاء. ولو اردت ان تأخذ نصف حروف الهجاء بطريقة عشوائية كان امامك (٥٠٤ احتمال) منها ان النصف الاول او الاخير على ترتيب أ ب ت ث او أ ب ج د، اما ان تأخذ النصف ويكون هو الالطف فليس امامك من تلك الاحتمالات الا طريقة واحدة هي التي اختارها القرآن في هذه المقطعات، لان التقسيمات الكثيرة متداخلة ومشتبكة ومتفاوتة. ففي تنصيف كل من ذلك غرابة غجيبة. هكذا قال النورسي (٣٩)، واقول:

هناك توازن يحقق الاعتدال بين لطافة السجية وكثافتها، واراه في ضوء ما قالوه عن طبائع الحروف واقعا في تلك المقطعات، فان الطبائع اربعة، طبع النار، وهو اشدها لانه حار يابس، ويقابله طبع الماء لانه بارد رطب، والواقع في الفواتح اربعة من سبعة من كل منهما، هي من الاول (أ ط م هـ)، والباقي (ذ ش ف)، ومن الثاني (ح ر ع ل) والباقي (خ د غ) ومن كل طبع من المتوسطين ثلاثة من سبعة، من طبع التراب وهو بارد يابس: (ص ن ي) والباقي (ب ت ض و)، ومن طبع الهواء وهو حار رطب: (س ق ك) والباقي (ث ج ز ظ) وهذا حقا غريب عجيب، ويعرفه من يعرفه من كبار علماء اللغة والتفسير والعرفان(٤٠).

ومن مجرد ايراد هذا التهجي في الفواتح ذكر النورسي لطائف، منها »ان التهجي بالتقطيع تلميح الى اراءة مادة الصنعة، كإلقاء القلم والقرطاس لمن يعارضك في الكتابة، كأن القرآن يقول: ايها المعاندون المدعون انكم امراء الكلام، هذه المادة التي بين ايديكم هي التي اصنع فيها ما اصنع«(٤١)، اي فهل تدركون فتؤمنون ؟ فقد ألفتم الآلاف من الكتب ولم تنالوا من الاعجاز ذرة. ويايها الاحباب المشتاقون قد ألفتم الآلاف من الكتب شوقا الى شرف التقليد وما زادكم الا ايمانا وتسليما وما كان إلا توكيدا للاعجاز بعد توكيد(٤٢).

»ومنها ان التهجي اساس القراءة ومبدؤها يخص المبتدئين بالقراءة، فيومئ الى ان القرآن مؤسس لطريق خاص ومعلم لأميّين«(٤٣).

»ومنها ان التقطيع اشارة الى ان قيمة الحروف ليست في معانيها فقط بل بينها مناسبات فطرية كمناسبة الاعداد، كشفها علم اسرار الحروف«(٤٤).

(فمن نظر ولم يدرك الاعجاز في بعض ذلك او في جملته فليقلد فتاوي اهل الصنعة)(٤٥).

نعم هذه اسرار لاتكون من اميّ، ولاصدفة، ولاتدخل في طاقة بليغ قدير، وان هي الا تقدير العزيز العليم لكتابة معجز الثقلين.

التكرارات:

قال: »اعلم ان القرآن لانه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره احسن وابلغ بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون، اذ الذكر يكرر، والدعاء يردد، الدعوة تؤكد، اذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد.

واعلم انه لايمكن لاحد في كل وقت تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل احد في كل وقت، فلهذا ادرج الحكيم الرحيم اكثر المقاصد القرآنية في اكثر صور، لاسيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنا صغيراً، فسهل السبيل لكل احد، دون ان يحرم احداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

اعلم انه كما ان الحاجات الجسمانية مختلفة في الاوقات: فإلى قسم في كل آن ك(هو الله) للروح، كحاجة الجسم الهواء، والى قسم في كل ساعة ك(بسم الله) وهكذا فقس.

فتكرار الايات والكلمات اذن للدلالة على تكرار الاحتياج، وللاشارة الى شدة الاحتياج اليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وايقاظه،

وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج الى تلك الاغذية المعنوية.
اعلم ان القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، واساسات لهذا العالم الاسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحوّلها ومبدّلها، وجواب لمكررات اسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الاقوال والاحوال.. ولابد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.
اعلم ان القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب الى الايمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول الى معرفتها، فلابد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في افكار العامة من التكرار في صور مختلفة واساليب متنوعة.
اعلم ان لكل آية ظهرا وبطنا وحدًّا ومطّلعًا (٤٦)، ولكل قصة وجوها واحكاما وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه وفي آخر لآخر، وفي سورة لمقصد وفي اخرى لآخر، وهكذا فعلى هذا لاتكرار الا في الصورة«(٤٧).
»ان تكرر الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة فارشد باجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين. فهو يكرر جملاً تملك ألوف النتائج، ويكرر ارشادات هي نتيجة لأدلة لاحد لها، وذلك عند ترسيخه في الأذهان وتقريره في القلوب ما سيحدث من انقلاب عظيم وتبدل رهيب في العالم وما سيصيبه من دمار وتفتت الاجزاء، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة الرائعة بدلا من هذا العالم الفاني.
ثم انه يكرر تلك الجمل والآيات ايضاً عند اثباته؛ ان جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات الى النجوم انما هي في قبضة واحد أحد سبحانه وضمن تصرفه جل شأنه.
ويكررها ايضاً عند بيانه الغضب الإلهي والسخط الرباني على الانسان المرتكب للمظالم عند خرقه الغاية من الخلق، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها.
لذا فان تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان امثال هذه الأمور العظيمة الهائلة لايعد نقصاً في البلاغة قط، بل هو اعجاز في غاية الروعة والإبداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة، وجزالة ـ بل فصاحة ـ مطابقة تطابقاً تاماً لمقتضى الحال، فعلى سبيل المثال:
ان جملة بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ هي آية واحدة تتكرر مائة واربع عشر مرة في القرآن الكريم ذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نوراً وضياء وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق ـ كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة ـ فما من أحد إلاّ وهو بحاجة مسيسة الى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات، فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي. اذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي ايضاً كالهواء والضياء الذي يُضطر اليه ويشتاق كل دقيقة.
وان الآية الكريمة وان ربك لهو العزيز الرحيم تتكرر ثماني مرات في سورة »الشعراء«. فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على الوف الحقائق في سورة تذكُر نجاة الأنبياء عليهم السلام وعذاب اقوامهم، انما هو لبيان:
ان مظالم اقوامهم تمس الغاية من الخلق، وتتعرض الى عظمة الربوبية المطلقة، فتقتضي العزة الربانية عذابَ تلك الأقوام الظالمة مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياء عليهم السلام. فلو تكررت هذه الآية الوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق اليها، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات اعجاز وايجاز.
وكذلك الآية الكريمة فبأي آلاء ربكما تكذبان المكررة في سورة »الرحمن« والآية الكريمة ويل يومئذ للمكذبين المكررة في سورة »المرسلات« تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن اعلاناً صريحاً في اقطار السموات والأرض أن كفر الجن والأنس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير غضب الكائنات ويجعل الأرض والسموات في حنق وغيظ عليهم... ويخل بحكمة خلق العالم والقصد منه.. ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها.. ويستخف بعظمة الالوهية وينكرها، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من امثال هذه الحقائق، ولهما من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا الوف المرات في خطاب عام موجه الى الجن والانس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة اليها ما زالت موجودة باقية.

فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة«(٤٨)

وزيادة في بيان بعض مامضى اقول: ان تكرير الآية الكريمة فبأى آلاء ربكما تكذبان ليس تكرارا حقيقياً، فانها في كل مرة تعقب نعما جديدة، فالله تعالى يقولها عقب كل فصل منها مخاطبا الإنس والجن، فان قيل: كيف جاءت بعد ذكر العذاب؟ فالجواب ان فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم، لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب، وبعثا على مايستحق به الثواب، فايراد هذه الاية الكريمة بعد ذكر جهنم وما فيها من العذاب - هذا الايراد - يشير الى نعمته تعالى بوصفها والانذار بعقابها، وهذا مما لاشبهة في كونه نعمة. واما مجيئها بعد ذكر الفناء فقيل: اي نعمة فيه؟ واجيب باجوبة احسنها: النقل من دار الغموم الى دار السرور، واراحة المؤمن والناس من الفجار، كما وردت به الاحاديث (٤٩).

الاعجاز الدستوري:

»القرآن الكريم دستور جاء من الازل ويبقى الى الابد بالتالي، وهو قوى الشباب دائمة«(٥٠). و»ان المدنية بكل جمعياتها الخيرية وانظمتها الصارمة.. ومؤسساتها التربوية الاخلاقية لم تستطع ان تعارض (٥١) (القرآن الكريم) وعلى سبيل المثال نذكر عدة نقاط:

النقطة الاولى حول:

الحياة الاقتصادية: ونتكلم عنها من زاويتين: الزاوية الاولى بخصوص قوله تعالى وآتوا الزكاة(٥٢)، والزاوية الثانية بخصوص قوله تعالى: وأحل الله البيع وحرم الربا(٥٣)، فان الاعجاز يظهر من كل منهما، كما سيتضح. قال النورسي:

»ان اس اساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الانساني انما هو كلمة واحدة، كما ان منبع جميع الاخلاق الرذيلة كلمة واحدة ايضاً:..

الكلمة الاولى: (إن شبعت فلا عليّ ان يموت غيري من الجوع)

الكلمة الثانية: (اكتسب انت لآكل انا، واتعب انت لاستريح انا)

ان الكلمة الاولى قد ساقت الخواص الى الظلم والفساد.

ودفعت الكلمة الثانية العوام الى الحقد والحسد والصراع. فسلبت البشرية الراحة والامان«(٥٤). »ولم تستطع المدنية ان تصلح بين هاتين الطبقتين، وعجزت عن تضميد الجراح الغائرة في الحياة البشرية«(٥٥).

»اما القرآن الكريم فانه يقلع الكلمة الاولى من جذورها ويداويها بوجوب الزكاة.

ويقلع الكلمة الثانية من اساسها ويداويها بحرمة الربا«(٥٦) وهذا اعجاز تشريعي قرآني يتحدى البشرية ان تهتدي وتستريح بتشريع غيره، فانظر كيف كانت كلمتان قرآنيتان اثنتان - او حكمان - ينتجان الاعجاز، فضلا عن سائر الشواهد مما نذكر وايضا مما لانذكر.

النقطة الثانية حول تعدد الزوجات: »ان المدنية الحاضرة لاتقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآني مخالفا للحكمة ومنافيا لمصلحة البشر«(٥٧).

و»ان الحكمة من الزواج والغاية منه انما هي التكاثر وانجاب النسل. اما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة فهي اجرة جزئية تمنحها الرحمة الالهية لتأدية تلك المهمة. فما دام الزواج للتكاثر وانجاب النسل ولبقاء النوع - حكمة وحقيقة - فلا شك ان المرأة التي لايمكن ان تلد إلا مرة واحدة في السنة ولاتكون خصبة الا نصف ايام الشهر وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها لاتكفي الرجل الذي له القدرة على الاخصاب في اغلب الاوقات حتى وهو ابن مائة سنة، لذا تضطر المدنية الى فتح اماكن العهر والفحش«(٥٨). اما دستور القرآن فهو النظافة والحكمة وفوز الدارين، وهذا اعجاز لايأتي بمثله - ولايسمح

بمثله - كل دساتير الارض وفلسفات الارض. وأنّى لهم؟
النقطة الثالثة حول نصيب المرأة في الميراث: »ان المدنية التي تتحاكم الى المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة للذكر مثل حظ الانثيين(النساء:١١) التي تمنح النساء الثلث من الميراث (اي نصف ما يأخذه الذكر).
ومن البديهي ان اغلب الاحكام في الحياة الاجتماعية انما تسن حسب الاكثرية من الناس، فغالبية النساء يجدن ازواجا يعولونهن ويحمونهن، بينما الكثير من الرجال مضطرون الى ان يعولوا زوجاتهم ويتحملوا نفقاتهن: فاذا ما اخذت الانثى الثلث من ابيها (اي نصف ما اخذه الزوج من ابيه) فان زوجها سيسد حاجتها. بينما اذا اخذ الرجل حظين من ابيه فانه سينفق قسطا منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساويا لاخته. وهكذا تقتضي العدالة القرآنية«(٥٩) فاتوا بكتاب من عند غير الله اعدل منه ان كنتم صادقين .
وكم للشيخ النورسي من بيان لاعجاز دساتير القرآن، كما لغيره تحت عنوان (شريعة القرآن من دلائل اعجازه)، وعنوان (الاعجاز التشريعي للقرآن) ويفتح الله ما يشاء.
هذا ومن قارن بيانات العلماء تبين له الحديد عند النورسي من جهة رعاية الجانب العالمي بطريقة عقلية وواقعية اكثر من غيره وان كان لغيره التميز بالروائع ايضاً.

الاخبار بالمغيبات:

يخبر القرآن الكريم عن الماضي خبر الحاضر الناظر، ويجعل تلك الاخبار مقدمة لمقصده، بخلاصة للحادثة الطويلة مع لمس العقدة الحياتية فيها، في ايجاز وعلو في الغرض - لامجرد تسلية - فلاتجد حشوا كما لاتجد نقصا، وتجد في ذلك الصدق كله والهيمنة البالغة حد التصحيح لما يكون مزيفاً، وحد الاعتداد بالنفس والثقة الكاملة المطلقة والشجاعة المتحدية، وليس ذلك الا لكلام العليم الخبير. على لسان امىّ لم يقرأ كتابا ولم يجلس الى معلم ولم يكن بين ظهراني اهل العلم بهذه المغيبات ان كان هناك اهل علم صحيح كامل على الهدف ربّانيّ. فانظر اخباره من لدن آدم عليه السلام الى خير القرون، وقارن ماتجده مشتركا بينه وبين التوراة والانجيل لترى بيانه فوق بيانهما واظهاره لكثير مما اخفاه اهل الكتاب، وحكمه الحق الصائب الفصل فيما اختلفوا فيه، وهيمنته، الى آخر ماتجده وتراه (٦٠).
وبالنسبة الى اخباره بغيب المستقبل انظر الى قوله ولن تفعلوا(البقرة: ٢٤) يعني لن يستطيعوا ان يأتوا بمثله تجده قد رمز الى الاعجاز بهذا الاخبار بالغيب، وكان كما اخبر. كأنه يقول: اذا كنتم امراء الفصاحة والبلاغة واشد الناس احتياجا اليها وعجزتم فان غيركم عاجز من باب اولى، ويتضمن اشارة الى ان نتيجة هي انه كما لم يكن الاقتدار على نظيرها في الزمان الماضي لايكون في المستقبل الا العجز عن مثلها (٦١).
وانظر الى قوله تعالىإن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذهم لايؤمنون(البقرة: ٦)، واعلم ان اشهر معاني الموصول العهد كالالف واللام، فهنا اشارة الى صناديد الكفر امثال ابي جهل وابي لهب وأمية بن خلف وقد ماتوا على الكفر، ففي الآية اخبار عن الغيب. وامثال هذا لمعات يتولد عنها نوع من الاعجاز(٦٢).
وزد ماتشاء من هذا الباب من النورسي، او من غيره - زيادة تقرير وتوكيد - كأن تقول: اخبر القرآن عن مستقبل ابي لهب وزوجه بالنسبة للموت على الكفر - في سورة تبّت، وعن قرب وفاة النبي ﷺ وفي سورة النصر. ولاحصر لمثل ذلك.
ودع عنك غوامض الامام النورسي - كغيره - من امثال قوله في آية سورة الفتح آخرها انها تشير بحروفها وتكرار اعدادها الى اصحاب بدر وأحد وحنين واصحاب الصفة وبيعة الرضوان وامثالهم من طبقات الصحابة الكرام، كما تفيد اسرارا كثيرة بحساب الحروف الابجدية والتوافق الذي يمثل نوعا من علم الجفر (٦٣)، فان هذا لوصح وكان اعجازا لصح علم الجفر وكان اعجازا، وهذا اتجاه غير مقبول، وغير معقول (٦٤).

واضيف ان من الغيب ما انطوت عليه النفوس، فلايعلمه النبي ﷺ ولا غيره، الا من طواه، والا من استودع ذلك السر - ان كان -، وقد اخبر عنه القرآن الكريم مثل ما في قوله تعالى ويقولون في انفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول(المجادلة: ٨) وما كذبوه في ذلك. الى آخر ما هو كثير وكثير، عند النورسي، وعند العلماء، مع تفاوتهم احيانا في الجزئيات.

وقد يكون الاخبار تغيب بطريقة لاتتضح الا للمتأمل المتأني، كمثال سورة النصر، وكالاشارة الى ان ابناء النبي ﷺ لايبلغون مبلغ الرجال، بقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم(الاحزاب: ٤٠)، وكان الامر كذلك - وقال النورسي: إنه كما ان هذه اشارة الى ان نسله ﷺ لايدوم من جهتهم، فان لفظ (رجال) يشير الى انه سيدوم من النساء دون الرجال، وقد وقع كذلك (٦٥)، وهذا الشق - فيما اظن - من جديده.

الاعجاز العلمي:

فيما يلي »لمعة من الاعجاز القرآني، تلمع في وجه معجزات الانبياء«(٦٦) عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم(الانبياء: ٦٩)

أولاها: النار ـ كسائر الاسباب ـ ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يُفرض عليها. فلم تحرق سيدنا ابراهيم لانها أُمرت بعدم الحرق.

ثانيتها: ان للنار درجة تحرق ببرودتها، أي تؤثر كالاحتراق. فالله سبحانه يخاطب البرودة بلفظة: »سلاماً« بأن لا تحرقي انتِ كذلك ابراهيم، كما لم تحرقه الحرارة. أي أن النار في تلك الدرجة تؤثر ببرودتها كأنها تحرق، فهي نار وهي برد.

نعم ان النار - كما في علم الطبيعيات - لها درجات متفاوتة، منها درجة على صورة نار بيضاء لا تنشر حرارتها بل تسلب الحرارة مما حولها، فتجمد بهذه البرودة ما حولها من السوائل، وكأنها تحرق ببرودتها. وهكذا الزمهرير لون من الوان النار تحرق ببرودتها، فوجوده اذن ضروري في جهنم التي تضم جميع درجات النار وجميع أنواعها.

ثالثتها: مثلما الايمان الذي هو (مادة معنوية) يمنع مفعول نار جهنم، وينجي المؤمنين منها. وكما ان الاسلام درع واقٍ وحصن حصين من النار، كذلك هناك (مادة مادية) تمنع تأثير نار الدنيا، وهي درع أمان منها، لان الله سبحانه يجري اجراءاته في هذه الدنيا - التي هي دار الحكمة - تحت ستار الاسباب وذلك بمقتضى اسمه (الحكيم)، لذا لم تحرق النار جسم سيدنا ابراهيم عليه السلام مثلما لم تحرق ثيابه وملابسه ايضاً. فهذه الآية ترمز الى:

»يا ملة ابراهيم! اقتدوا بابراهيم! كي يكون لباسكم لباس التقوى وهو لباس ابراهيم، وليكون حصناً مانعاً ودرعاً واقياً في الدنيا والآخرة تجاه عدوكم الاكبر، النار. فلقد خبأ سبحانه لكم مواداً في الارض تحفظكم من شر النار، كما يقيكم لباس التقوى والايمان الذي ألبستموه أرواحكم، شر نار جهنم.. فهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الارض والبسوها«.

وهكذا وجد الانسان حصيلة بحوثه واكتشافاته مادة لا تحرقها النار، بل تقاومها فيمكنه ان يصنع منها لباساً وثياباً.

فقارن هذه الآية الكريمة، وقس مدى سموها وعلوها على اكتشاف الانسان للمادة المضادة للنار، واعلم كيف انها تدل على حلة قشيبة نسجت في مصنع (حنيفاً مسلماً) لا تتمزق ولا تخلق وتبقى محتفظة بجمالها وبهائها الى الابد«(٦٧).

وذكر النورسي العديد من الامثلة ببيان رائع، وترجم عن معان اشارية رأيت بعضها. غير اني ارى مثل هذا اشارة الى امر غيبيّ ما عرفناه ولا عرفنا اشارة اليه إلا بعدما حصل وانقدح في الذهن ان القرآن يشير اليه، بخلاف ماعرفنا اشارة القرآن اليه ثم انتظرناه فتحقق كما اشار للقرآن، كما في ولن تفعلوا مثلا.

وقال الاستاذ الدكتور ابراهيم عبدالرحمن خليفة رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية اصول الدين بالقاهرة في احدى الحلقات العلمية ان الاعجاز العلمي ليس في ايراد الظاهرة بل في ايراد طريقة حصولها لو كان. لكل هذا ارى ان تجعل

الايات المشيرة الى المكتشفات من آيات الاخبار الاشاري، اشارت الى ماكان غيبا وتحقق، فتبقى داخلة في احد وجوه الاعجاز.

ولم يشأ النورسي ان يوسع الكلام في الاشارات العلمية في كتابه (الكلمات) فتلكم بسرعة خاطفة عن الاشارة الى (القطار) بالاية الكريمة وخلقنا لهم من مثله (اي مثل الفلك) مايركبون(٦٨)، وكذا بالاية الكريمة قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود..(٦٩) وكأني به يقصد بأخدود النار ذات الوقود القطار بوقوده، وهذا عندي في غاية الغرابة. كما ذكر ان الكهرباء مشار اليها بالاية الكريمة: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..(٧٠). فمثل هذا غلو منه رحمه الله. فيكفينا من ذلك ما كان مجلوّا، لاتردد في بهائه واعجازه.

واما موقف النورسي مما كان في نظر اهل العلم الحديث بعكس الاعجاز العلمي اي كان في تصورهم منتقدا على القرآن فقد شرحه فأبان اعجازه وانه ألجأ الفلاسفة العنيدين الى الرضوخ(٧١) فجزاه الله خير الجزاء.

وجه الى الاذن والنفس: الروعة والتلذذ وعدم السأم وسهولة الحفظ - وحظ العامىّ:

ذكر النورسي ان القرآن الكريم »يبين اعجازه حتى لأولئك الذين لايملكون سوى قدرة الاستماع من دون ان يقدورا على التوغل في الفهم من عوام الناس« وقال »فنراهم يصدقون اعجازه ويشعرون به بمجرد سماعهم له«(٧٢).

وقال: »ان العامي الجاهل الذي لايفهم شيئا من معاني القرآن الكريم يشعر بإعجاز القرآن من عدم سأمه في التلاوة. فيحاور ذلك العامي الجاهل قائلا: ان الاستمرار على تلاوة هذا القرآن لايولد السأم.. بل تزيد كثرة تلاوته حلاوته، بينما لو استمعت الى قصائد جميلة رائعة لمرات عدة فاني اشعر بالملل، لذا فالقرآن ليس بكلام بشر بلا شك«(٧٣).

وقال: »بل حتى المرضى والمحتضرين في سكرات الموت ممن يتألمون بأدنى كلام، تراهم يستمعون الى القرآن الكريم وتنزل آيات على اسماعهم كأنه السلسبيل، وبهذا يشعرون باعجازه«(٧٤).

وذكر القاضي عياض ان من وجوه الاعجاز - الثانوية - او عند بعضهم - (الروعة) التي تلحق قلوب سامعيه و(اسماعهم) عند سماعه... وقال: »ويدل على ان هذا شئ خص به انه يعترى من لايفهم معانيه ولايعلم تفاسيره، كما روى عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكى فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجا والنظم«(٧٥)، ويبدو لي ان المراد بالشجا والنظم ذلك التأثر بنغم وجرس الكلمات ومذاقة الحروف التي صرح عبدالقاهر الجرجاني انها تؤثر في زيادة سمو الكلام ورفعة شأنه، والتي نقول انها في القرآن بالغة من الحس والجمال حد الاعجاز.

ومن تلك الوجوه ايضاً (ان الله تعالى جعل القرآن في حيز المنظوم ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسمح في الآذان (٧٦).

ومنها ايضا »ان قارئه لايملّه وسامعه لايمجه، بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، لايزال غضا طريا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يملّ مع الترديد ويعادي اذا اعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن بأنه (لايخلق على كثرة الرد)(٧٧).

وقال النورسي: »ان الاطفال الذين يرغبون في حفظ القرآن الكريم يظهر لهم اعجازه في قدرتهم على حفظه في عقولهم اللطيفة الصغيرة، على الرغم من وجود مواضع متشابهة تلتبس عليهم، فتراهم يحفظون القرآن الكريم بكل سهولة، ويسر، بينما يعجزون عن حفظ صحيفة واحدة من غيره«(٧٨)، يعني في مثل زمن ذلك الحفظ القرآني. وقد رأيت من اطفال باكستان من قرب من الختم وهو لايعرف جملة واحدة عربية بمعناها، وهذا اعجب، بل رأيت الكتاتيب والكثيرين من صغارهم على هذه الشاكلة. وسبحان الله.

وقال عياض في وجوه الاعجاز: »ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه، وتقريبه على متحفظيه، قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن

للذكر(القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠) وسائر الامم لايحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم، والقرآن ميّسر حفظه للغلمان في أقرب مدة«(٧٩). والحمد لله على نعمته ونسأله العلم النافع والعمل الصالح والذكرى.
واقول: ان تلك الخواص والفضائل تدخل في اوصاف القرآن، فتدخل في التحدي بمثله فتكون شرطا في صحة المعارضة، ثم انها في كثرتها وسموها شئ لانظير له، ولايقدر بشر على مثله، فهي من وجوه الاعجاز.
فما ينطبق عليه هذا التقرير ويقول فيه عياض انه من الخواص والفضائل لا من الاعجاز (٧٩) تراني لا اوافقه، بل اتفق مع النورسي - ورحمها الله تعالى ورحمنا جميعا معهم.

وجه الى العين: التناظر والتقابل والتوافق والمحاذاة والموازاة في الخط:
قال النورسي: »ان وجه الاعجاز لهذه الطبقة الفاقدة للسمع والعلم والادراك والتي لاتملك سوى الرؤية قد ظل مجملاً وناقصاً ومبتوراً«(٨٠)، وقال ان المكتوب التاسع والعشرين والمكتوب الذي آل امره الى كتاب اشارات الاعجاز »قد وضحا بجلاء تام هذا النوع من الاعجاز بحيث يمكن ان يلمسه حتى الاعمى«(٨١). وقال: »وقد وضعنا كتابة مصحف شريف لاظهار هذا الوجه الجميل من الاعجاز موضع التنفيذ«(٨٢).
اقول: هذا الاعجاز من جهة الصورة الخطية شرحه النورسي على مصحفين يستقل كل منهما بشئ.
المصحف الاول: قال فيه: »ان كلمات المصحف المطبوع بخط الحافظ عثمان تتقابل وينظر بعضها الى بعض، فمثلا: ان كلمة وثامنهم كلبهم التي هي سورة الكهف (الاية: ٢٢) تناظر كلمة (قطمير) التي هي في سورة فاطر (الاية: ١٣) فلو ثقبت الصفحات ابتداء من الاية الاولى لتبيّنت الكلمة الثانية بانحراف يسير ولفهم اسم الكلب«(٨٣). فقلت: لماذا هذا المصحف بالذات دون المصحف الثاني الذي سيأتي الحديث عنه: ودون ماكتب بين يدي النبي ﷺ ودون المصاحف العثمانية - الخ؟!.
ان وجوه الاعجاز لاتتزاحم. بمعنى ان وجود احدها لايبطل الاخر، ومادام هذا التناظر يبطل عند رعاية - او ارادة - وجه آخر، كما يأتي في المصحف الثاني فاني استبعد انه اعجاز، واقول ان لخط الحافظ عثمان مزية وللثاني مزية، وهي مزية قد تكون مصنوعة - وهو غالب ظني - والقرآن الكريم في غنى عن مثل هذا. وان اصرّ الشيخ على الدفاع والاعتذار عن الانحرافات اليسيرة بانه مقام (خطابيّ) وعلى التأكيد على ان جزئيات هذا الوجه كثيرة كثرة لاتكون ابداً مصادفة ولاصنعة(٨٤).
وليس هذا التناظر في المصحف الثاني فان فيه (وثامنهم كلبهم) على السطر السادس جهة اليسار - ص٢٩٥- اما (قطمير) فعلى السطر السابع جهة اليمين - ص٤٣٥-. وقس على ذلك، فمثلا في مصحف الازهر نجد الموضع الاول ص ٢٤٥ على السطر الثالث عشر جهة اليمين، والموضع الثاني ص ٣٦٥ على السطر الرابع عشر واقرب من الاول الى جهة اليمين ايضاً.
وغالب ظني ان هذا ليس اعجازا، وانتظر غير الغالب في آخر هذا الكلام.
المصحف الثاني: قال عنه النورسي (ان هناك نوعا مشهودا بالابصار من اعجاز القرآن قد تبين وتشكل منبعا للاشارات الغيبية ورموزها فيما استكتب من مصحف شريف يبين فيه التوافق في لفظ الجلالة في كل صحيفة)(٨٥)، ومعي من هذا المصحف نسخة من الطبع الاول سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م بقلم الخطاط حامد الآمدي، وقد جاء في آخره انه كتب بشكل جاذب تحت ضوء المكتوب التاسع والعشرين للنورسي، فتميز بميزات اظهرها التوافق المحاذاة الموازاة الخطيّة بين ماتكرر في القرآن من لفظ الجلالة، او ماتكرر من لفظ الجلالة ولفظ الرب فتجد المكرر من ذلك في اي صفحة متعامدا بعضه فوق بعض في صف واحد او في اكثر من صف. وكما اخذ النورسي اشارة الى اسم الكلب من التناظر السابق اخذ من التوافقات اشارة - وعنده توافقات اخرى غير لفظ الجلالة والرب - فقال: »اما التوافقات فهي اشارة الى الاتفاق، والاتفاق امارة على الاتحاد وعلامة على الوحدة والوحدة تدل على التوحيد، والتوحيد اعظم اساس من الاسس الاربعة للقرآن الكريم«(٨٦).

فأقول: قد رأيت بنفسي ذلك التوافق في النسخة المذكورة، لكن فتحتها غير قاصد صفحة بعينها، فجاءت ص ١٣٢ وبعد تأملها ابديت الملاحظات الاتية: الدوائر التي حول ارقام الايات ثماني دوائر من الآية (٤٥) حتى (٥٢) جاءت كبيرة الاحوال (٤٦) فصغيرة، وحرف النون في ختام الفواصل صغير الا في موضعين عند (٤٨) و (٥٢)، وهو في الموضع الثاني اكير منه في الموضع الاول، والدائرة حول (٤٨) موضوعة بجوار النون اما حول (٥٢) ففوق النون، ولو جعلت النون عند (٥٢) بحجم المواضع الستة صغيرة ووضعت الدائرة بجوارها صغيرة او كبيرة لبقى من السطر شى.

فمحافظة على تحقيق الموازاة المنشودة والتوافق المذكور فعلت كل هذه التصرفات عمدا - فيما اظن - فلا يكون اعجازا، بل صنعة وميزة لمن ابتكرها.

وقد سبق للشيخ انه مقام خطابي، وان كثرة الجزئيات والانواع لاتكون صدفة ولاصنعة لعقل جزئي محدود لايحيط بمثل ذلك.

فاقول اخيرا: اذا لوحظت الجملة الاخيرة للشيخ، ولوحظ ان الوجه المذكور قد تيسر في كتاب جاء به اميّ - ﷺ - وخطر بالبال ان غيره لايبلغ شأوه في هذا: كان اعجازا، ولكن لانتعصب له، ولانحتاج اليه، اذ غيره بل بعض غيره قاطع باعجاز هذا الكتاب العزيز.

وعندما نقبل الوجهين الاخيرين فنجد كل نسخة من نسختي المصحف تقيم وجها فتلغي ما في الاخرى لانهما لايمكن ان يجتمعا في واحدة والا لتوصل النورسي الى جمعهما. نقول ان هذا لايضر لان مايلغي يحل محله الآخر على سبيل البدل، وكأني بهذا يشبه ما اذا قرأت (ولاادراكم به) فكانت نفيا ولاتستطيع ان تجعل منه اثباتا، واذا قرأت (ولادراكم به) (٨٧) كانت اثباتا لاتستطيع من قراءته ان تجعله دالاّ على النفي، فهما معنيان قرآنيان يتبادلان الموقع ولايجتمعان في النطق الواحد، فكذلك الوجهان المذكوران من وجوه الاعجاز يتبادلان الموقع في النسخة الواحدة ولايجتمعان في واحدة. والله تعالى اعلم بالصواب (٨٨).

وقد اطلعت - بعد هذا - على بحث يذكر ان شيئا من التناظر والتوافق قد وقع للشيخ في بعض كتبه، فلا يمكن ان نعتبر ذلك اعجازا بالنسبة الى القرآن.

فأقول: قد كنا نجد من شرط المعجزة التحدى، ولا نعرف الاعجاز الا لكتاب الله تعالى، فلم نكن ننسبه الى السنة معه، واصبحنا اليوم نقول ونبحث ونثبت الاعجاز العلمي للسنة ايضا بعد القرآن، فتوسعنا في مفهوم المعجزة والاعجاز. بل ان العلماء قديما لما قالوا: (كل كرامة لوليّ معجزة لنبيه) قد توسعوا فلم يشترطوا التحدى وما اليه، وبناء على ذلك وعلى ما نعرفه من ان المعجزة الكبرى لنبينا ﷺ هي القرآن نقول: ومن معجزاته كرامات اولياء امته، ومنها ما وقع للشيخ بديع الزمان وكشف عنه من التناظر والتوافق في القرآن (المكتوب) - فإنه قرآن على الحقيقة اللغوية والشرعية والعرفية- ومنها ماوقع له من ذلك في بعض كتبه. ومظاهر التكريم من الله تعالى لعباده الصالحين لا حدّ لها ولا عدّ، وهي ببركة حسن اتباعهم وحبهم له ﷺ، وحق لهم السرور بها لأنه سرور بالتكريم الالهي لهم، وحق ان يكون النبي ﷺ مسروراً بها لأنها تكريم له ايضاً في شخوص اولياء امته، نفعنا الله تعالى ببركاتهم دنيا واخرى آمين.

ختام:

اذا كانت الموازاة الخطية ونحوها امرا ضعيفا - في نظرنا - وكذا الاستنباط على طريقة الجفر فان قوة الامام النورسي في بيان ما ابان، وتفرده بما تفرد به، واشراقاته في التعبير، وفي المعاني: شئ لا اعلم له نظيراً، وبرهان ذلك مابين يديك من هذا البحث المتواضع.

وان الرجل لجدير، بمواصلة دراسة افكاره، والتزود من فتوحاته.

نفعنا الله تعالى به وبأمثاله. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١) الكتب المذكورة مطبوعة رأيتها والترجمة ملخصة من كتاب (بديع الزمان سعيد النورسي - نظرة عامة عن حياته وآثاره) تأليف احسان قاسم الصالحي ط٣ الوفاء بالمنصورة ١٩٨٨م ص ٩-٦١، ٢٥٥/٥٦).

٢) راجع مذكرة في اعجاز القرآن الكريم للشيخ عبدالرحيم فرج البلينى ص ١،٢ بالالة الكتابية مسحوبة على استنسل وكتاب اعجاز القرآن للدكتور الشيخ السيد محمد الحكيم ص ٤٠-٤١ مطبعة دار التأليف سنة ١٣٩٨هـ.

٣) المكتوبات للنورسي ترجمة الصالحي ص ٥٠٨.

٤) السابق ٥٠٩.

٥) ، ٦)، ٨)، ٩) شرح همزية البوصيري لابن حجر الهيتمي ص ١٤٣ ط ١ التقدم العلمية سنة ١٣٢٦هـ.

٧) المدثر : ٢١.

١٠) الانبياء: ٤٦

١١) الكلمات للنورسي ترجمة الصالحي ٤٢٦-٤٢٧

١٢) سورة النور: ٤١

١٣) المكتوبات ٥٠٦-٥٠٧

١٤) انظره ص ١٩٠-١٩٣في سرد ماذكره السيوطي ثم ص ٢٤٧-٢٤٩ في سرد الاربعين التي زادها - ثم شرح منها ماشاء الله الى ص ٦٨١. والكتاب تأليف احمد عزالدين عبدالله خلف الله الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م السعادة.

١٥) انظر الكلمات ص ٤٢١ الخ.

١٦) انظر المكتوبات ٥٢٢ الخ.

١٧) اشارات الاعجاز في مظان الايجاز للنورسي تحقيق الصالحي ص٢٣

١٨) السابق: ١١٨

١٩) راجع اشارات.. السابق ومحاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة للنورسي ترجمة الصالحي ص ١١٦ طبعة اولى سنة ١٤١١هـ مطبعة منير بغداد.

٢٠) اخذت هذه الفكرة عن المدارس الثلاث من كتاب (البلاغة العربية في ثوبها الجديد) علم المعاني ج١ ص١٥-٢٦ للدكتور بكرى شيخ امين ط٣ مايو ١٩٩٠م دار العلم للملايين بيروت.

٢١) راجع المكتوبات ٤٠٧ الخ بأمثلة مشروحة.

٢٢) البقرة: ٣

٢٣) الكلمات ٤٢٧-٤٢٨ وانظر ايضا اشارات السابق ٥٣-٥٥ وفيه زيادة،

٢٤) هنا اقتباس من سورة القمر: ١٢

٢٥) الذاريات: ٢٢

٢٦) جملة من معنى حديث ابن عباس عند احمد وغيره، راجع تفسير ابن كثير سورة القمر الاية : ٤٩

٢٧) في حديث احمد والشيخين ان الملك يؤمر بنفخ الروح في الجنين ويؤمر بأربع كلمات: رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد. راجع تفسير ابن كثير سورة المؤمنين الاية ١٤

٢٨) انظر اشارات الاعجاز: ١٢٤

٢٩) انظر السابق: ١٢٢-١٢٣ بالاية ٣٦ آل عمران

٣٠) انظر السابق: ١٢١-١٢٢

٣١) انظر السابق: ١٢٤

٣٢) انظر السابق

٣٣) انظر السابق بالايتين الاوليين من سورة البقرة.

٣٤) انظر السابق: ١٢٢ بالايتين :١١، ١٤ من سورة البقرة.

٣٥) انظر السابق: ١٢٠ والهامش الثاني فيه.

٣٦) انظر السابق: ١٢٥

٣٧) راجع السابق: ١٧٦-١٧٨ ومحاكمات عقلية السابق: ٢٦

٣٨) وخلاصة ذلك ان الكلام لايخرج عن الحقيقة قطعا الى المجاز الا بقرينة كافية في نفس الكلام وان المجاز اذا كان بلا قرينة كان معنى ذلك انه لاقرينة تمنع الحقيقة فلا تلغى، وان الاخذ بهما معا حينئذ كان لنكتة المجاز واصالة الحقيقة، وان المجاز - لنكتته - ساوى الحقيقة فاخذ بهما معا - للنكتة والاصالة كما عرفنا. وان الجمع بين الحقيقة والمجاز كالجمع بين حقيقتين لامانع منه في ارادة الافادة. وان الممنوع في بعض المذاهب الفقهية - لافي جميعها - هو الجمع بينهما في ارادة الاستعمال، ويستفاد بتلك القواعد في تفسير والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم(يس:٣٨). فقال الفلاسفة والمفسرون في ضوء علم الفلك القديم: ان هذا الجرى لامن ذاتها بل بفلكها يدور بها حول الارض فينتج الشروق والغروب. وعليه فهو جرى مجازي، بلا قرينة، ونقول في ضوء الحقيقة العلمية الجديدة وفي ظل القواعد السابقة: يراد بجري الشمس حقيقة وهو جري الى النسر الواقع، ولاعلاقة له بالشروق والغروب. كما يراد به مجازه، وهو جريها الظاهري الذي ينشأ عنه الشروق والغروب، وحقيقته هي جري الارض حول الشمس، فنسب الى الشمس مجازاً لهذه الملابسة ظاهراً، لاحقيقة وباطنا، فبادئ النظر الحديث يرى الكلام مخالفا للحقيقة مائلا عنها وعن دليلها ثم بالتأمل ظهر ماقلناه، وقال النورسي ان مماشاة القرآن لخطأ الحس عند القدماء ليس اقراراً للخطأ ولكنه امهال له حتى تظهر الحقيقة والقول هو هو في القرآن لم يتغير ولم يصدم فريقا منهما. ولو ان القرآن كشف الحقيقة من اول الامر لأعنتهم فكذبوه او غالطوا انفسهم فيما يعتقدون، ولو صارحهم بها ليدلهم على قدرة الله وواسع علمه وعجيب تقديره لكان الدليل اخفى من الدعوى، وهذا يخالف النهج السوى في الاستدلال، فقام ارشاد القرآن على الافادة من الظاهر ومن الكنابة ومستتبعات التراكيب جاعلا التقدم العلمي قرينة تكشف في الوقت المناسب حقيقة الامر لاهل التحقيق معبرا بعبارة على غاية من القبول عند السابقين واللاحقين.

وسبحان الله العلي القدير الحكيم الخبير العليم العظيم، وان هذا لاعجاز وبلاغ مبين (راجع المبدأ السادس والثاني عشر من بحث بعنوان (مبادئ ممارسة التفسير العلمي) وبحث (المعاني التي تتحملها العبارة تعتبر مراد) في كتاب (بحوث في علوم القرآن الكريم) كلاهما لكاتب هذا البحث، واهم مراجعهما روح المعاني للآلوسي ج١""/١٤٩ وعقود الجمان للسيوطي بشرح المرشدي ٢"/٩٨-٦٩ واشارات الاعجاز للنورسي طبع دار المحراب ص١٨٠-١٨٢ والاسلام في عصر العلم الغمراوي طبع دار الكتب الحديثة ايداع سنة ١٩٧٨ ص٢٠٨، ٣٠٠،٢٩٤،٢٨٣،٢٥٩. وقد راجعت ايضا اشارات الاعجاز ترجمة وتحقيق الصالحي ص١٧٦ الى ١٧٨ ومحاكمات عقلية السابق).

٣٩) انظر اشارات الاعجاز تحقيق الصالحي السابق ٤١-٤٤.

٤٠) استخرجت ماذكرت من الطبائع وحروفها من اوائل لسان العرب لابن منظور، وقد ذكر بعض اسماء كبار العلماء - فراجعه فانه ممن قرر واكد وشاهد.

٤١) اشارات الاعجاز السابق

٤٢) هنا اقتباس من بعض المواضع النورسية - لامحض انشائي.

٤٣)، ٤٤) اشارات... السابق.

٤٥) كذلك قال النورسي.

٤٦) كما ورد في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود، ومما قيل في معناه ان الظهر ماظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر، والبطن ماتضمنته من الاسرار التي اطلع الله عليها ارباب الحقائق، والحد اي المنتهى فيما اراد الله من معناها او مقدار حكمها من الثواب والعقاب، والمطلع ما يتوصل به الى - او يوقف به على - معرفة ماغمض من معانيها واحكامها، راجع الاتقان للسيوطي النوع ٧٨، احياء علوم الدين للغزالي في آداب التلاوة وفي قواعد العقائد مع تخريج العراقي.

٤٧) المكتوبات ٢٦٧-٢٦٨

٤٨) الكلمات ٥٢٨-٥٣٠

٤٩) راجع (دراسة في تفسير النسفي في سورة الرحمن) لمؤلف هذا البحث، او الامالي المسمى غرر القلائد للسيد المرتضى ١٢٧/١ وتفسير النسفي وشرح عقود الجمان السابق ج٢٤١/١

٥٠)، ٥١)، ٥٤) ، ٥٥) ، ٥٦) الكلمات وانظر، ٤٧٣، ٤٧٤

٥٢)، ٥٣) البقرة: ٤٣، ٢٧٥

٥٧) ، ٥٨)، ٥٩) السابق: ٤٧٤-٤٧٥

٦٠) راجع الكلمات ٤٦٨-٤٧٠، ٤٧٩، ٤٨٠

٦١)، ٦٢) انظر اشارات.. السابق: ١٨٣، ٧٣

٦٣) اللمعات للنورسي ترجمة الصالحي: ٤٦

٦٤) فان الجفر والجامعة لوحان للقضاء والقدر، او رموز تكشف لمن يفهمها عن اسرار، او علوم الغيب، او علوم من الغيب اقتضتها اعمال القلم في القرطاس، او كتابان احدهما ذكره الامام علي كرم الله وجهه وهو يخطب والاخر أسره النبي ﷺ وامره بتدوينه. او علم الجفر علم له عند عارفيه اوضاع بعضها على مذهب افلاطون، هذه هي جملة وكل ماعرفت عن علم الجفر، فمن يقبل؟ ومن يعقل؟ راجع كتابي (دراسات في علوم القرآن ومناهج المفسرين) او ابجد العلوم للقنوجي ج٢١٤/٢-٢١٦. ومما قلته: »احقا سبق افلاطون بشئ دال على غيب ولما جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن من عندالله تعالى حدث في ظله ذلك الدال بالشكل الافلاطوني وبأشكال اخرى؟!« ردّا على من يقول ان علم الجفر من فروع علم التفسير.

٦٥) انظر الكلمات السابق: ٤٨٠

٦٦) جملة مقتبسة من الكلمات: ٢٩٦

٦٧) السابق - وانظره - ٢٨٨-٢٨٩

٦٨) يس: ٤٢

٦٩) البروج: ٤-٧

٧٠) النور: ٣٥

٧١) الخطبة الشامية للنورسي ترجمة الصالحي: ٤١ اشارت الى تأليف له في ذلك.

٧٢) المكتوبات: ٢٣٩

٧٣)، ٧٤) السابق: ٢٤٠

٧٥) الشفا للقاضي عياض - وانظره- ٢٣٠/١-٢٣١ يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بدون تاريخ

٧٦) انظر السابق: ٢٣٦

٧٧) السابق: ٢٣٣

٧٨) المكتوبات السابق

٧٩) الشفا السابق ٢٣٦، ٢٣٧

٨٠)، ٨١)، ٨٢) المكتوبات السابق هامش رقم ٢ وماتحته ص٢٤٠

٨٣)، ٨٤)، ٨٥)، السابق ص ٢٤١ وراجعه وراجع هامشه رقم ٤ ص٢٤٢

٨٦) السابق هامش ص٤٩٢

٨٧) الاية ١٦ سورة يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام وعلى جميع الانبياء، والقراءتان سبعيتان، انظر اتحاف فضلاء البشر للبنا ص٢٤٧ ط المشهد الحسيني ١٣٥٩هـ

٨٨) وعند الامام النورسي من الوجوه الكثير ومن الجزئيات الاكثر، واقتصرت على ما رأيته محققا لغرض محدود. والحمد لله في البدء والختام.